ملحمة عمر

غروب الشمس

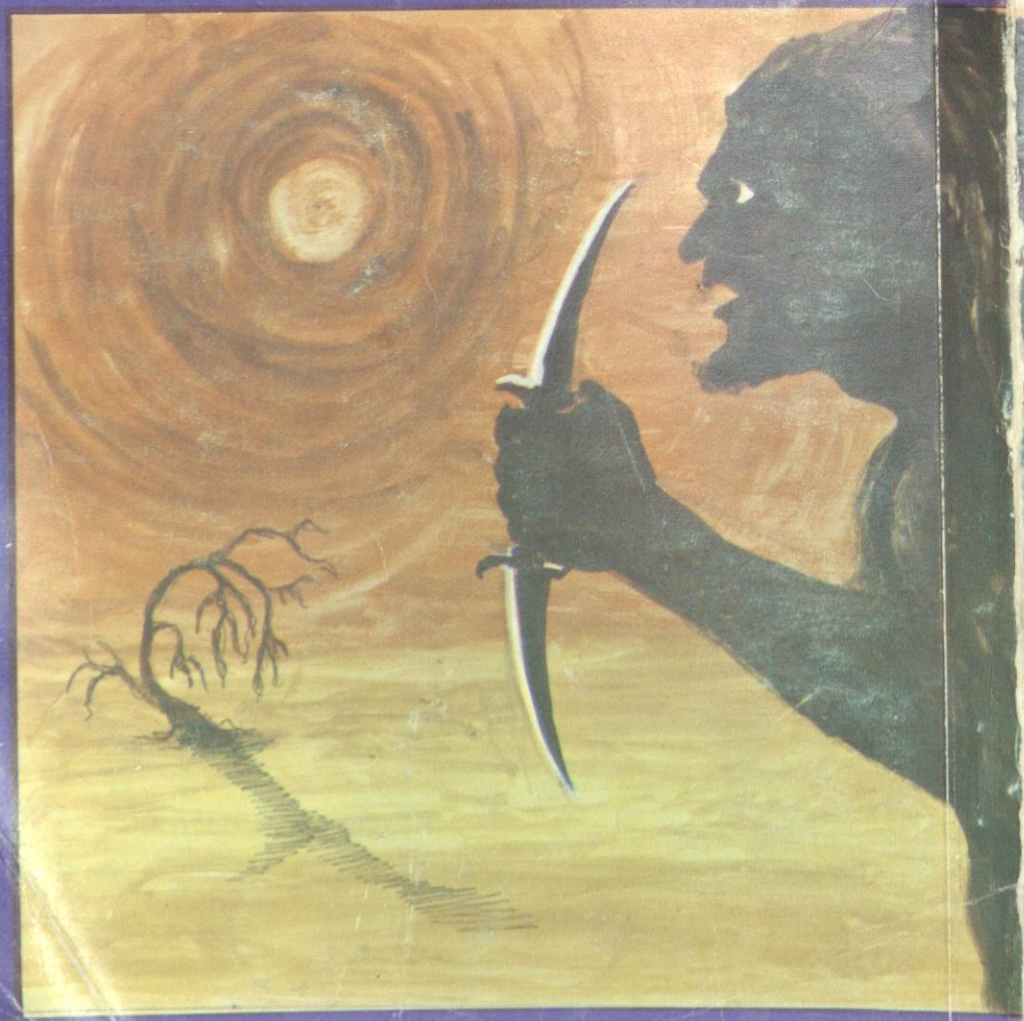

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

ملحمة عمر - ١٨

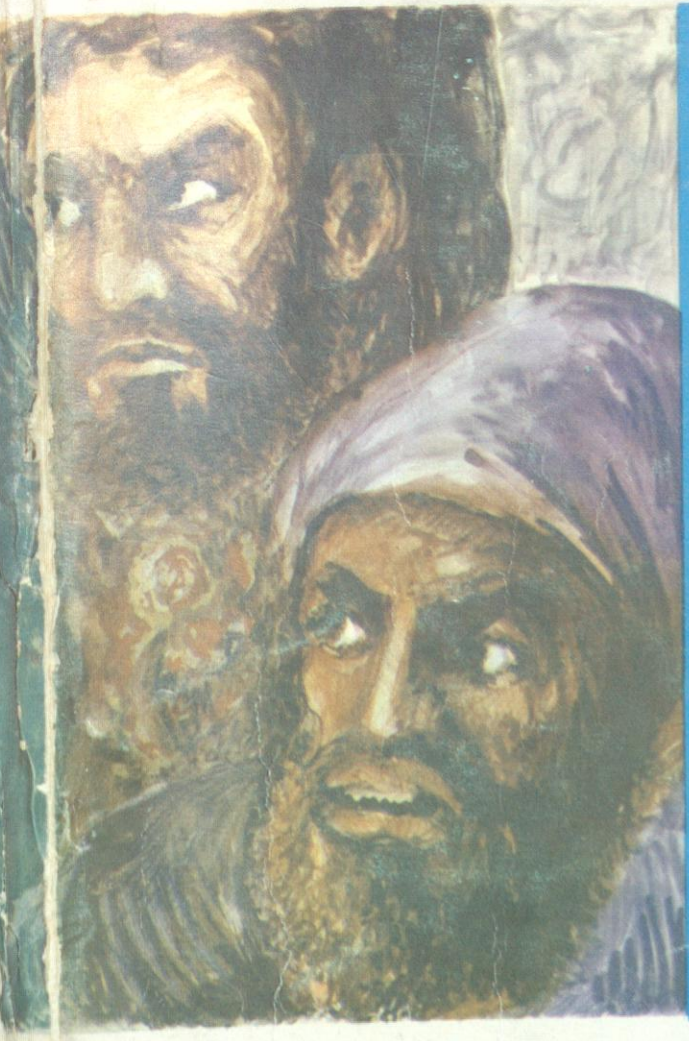

ملحمة عمر

١ - على أسوار دمشق
٢ - معركة الجسر
٣ - كسرى وقيصر
٤ - أبطال اليرموك
٥ - تراب من أرض فارس
٦ - رستم
٧ - أبطال القادسية
٨ - مقاليد بيت المقدس
٩ - صلاة في الايوان
١٠ - مكيدة من هرقل
١١ - عمر وخالد
١٢ - سر المقوقس
١٣ - عام الرمادة
١٤ - حديث الهرمزان
١٥ - شطا وارمانوسة
١٦ - الولاة والرعية
١٧ - القوي الأمين
١٨ - غروب الشمس

الناشر: دار البيان. ص.ب ٢٠١٧ - الكويت

٣٥٠ فلس كويتي

ملحمة عمر

غروب الشمس

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر
دار البيان
ص.ب: ٢٠١٧ - برقيا: تربن
الكويت

الطبعة الأولى
١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المشهد الأول

في بيت جفينة بالمدينة وعنده الهرمزان وكعب وأبو لؤلؤة

جفينة : تذكروا يا قومُ ان الأحْنفَ بن قيس يقرعُ اليوم أبوابَ خُراسان ولم تُنجِزُوا أنتم مهمتكم بعد .

كعْب : مع انكم قد شَرَعْتم في التدبير قبل معركة نهاوند بأمد طويل .

أبو لُؤْلُؤَة : نهاوند ! واحسرتاه على نهاوند ! والله ما اضاعَها الا هذا الملكُ من ملوك التاج الجالِس بينكم . (يشير إلى الهرمزان) .

الهرمزان : ما عند غيرك هذا القولِ تردّدُه يا فيروزُ .

أبو لؤلؤة : ولن اكفَّ عن ترديدِهِ أبداً . لولا ضياع نهاوند ما ضاعت فارسُ .

الهرمزان : وماذا فعل السَّليلُ الذي انجَبَتْه ابنةُ كسرى من بطلِ الأبطالِ رستمَ ؟

أبو لؤلؤة : لو أتيح لي أن أصاحبَ عمرَ في الحج لرأيت ماذا كنتُ أفعل ؟

الهرمزان : وما علمُك أنت بالحجِّ وما يعْرُو الناسَ فيه من خُشوع ؟

أبو لؤلؤة : لو صدق منك العزمُ لكان خشُوعُ عمرَ في الحج أكبرَ عونٍ لك فيما اردْتَ .

الهرمزان : خشوع عمر في الحج ! انك لتَهابُه وهو يمشي في السوقِ بين قومٍ مشغولين بالبيع والشراء فكيفَ لو رأيتَه وقد كساهُ جلالُ الحج جلالاً ومَهابَةً ؟

أبو لؤلؤة : تنصَّل مـــا شئتَ . قد اضعتَ الفرصةَ وكفى .

الهرمزان : هبْني اضعتُها يا فيروزُ فكم أضعتَ أنت من فرص قبل ذلك وبعد ذلك ؟

أبو لؤلؤة : أنت الذي جعلْتَني اتَرَاخى في هذا الأمر . لولا مجيئُك الينا في المدينة واعتراضُك إياي في مهمتي لأنجَزْتُها من زمنٍ بعيد .

الهرمزان : بل ينخلعُ قلبُك يا فيروز كلَّما واجَهْتَه أو دنوتَ منه .

كعب : إلى مَ تتلاومان ؟ ان التلاوُم لا يُجْـــدي عليكما شيئاً ولكني أعلم أن عند جُفَيْنَة اقتراحاً فهل لكما أن تسمعاه ؟

الهرمزان : ماذا عندك يا جفينة ؟

أبو لؤلؤة : اسمِعْنا اقتراحك .

جفينة : أرى ان تُسندَ هذه المهمةُ إلى رجل من العرب .

الهرمزان : رجل من العرب ؟

أبو لؤلؤة : كلا أنا لا أثقُ بأحد منهم .

جفينة : رجل موتورٌ من عمر

الهرمزان : ماذا صنع به عمرُ ؟

جفينة : انتزعَ منه ارضاً كانت له

الهرمزان : ولم يعوّضه عنها شيئاً ؟

جفينه : لا

الهرمزان : هذا لا يُعقَلُ . ما كان عمرُ ليظلمَ أحد بغير حق .

جفينة : كعبٌ يعرف قِصَّتَه . اقْصصْها علينا يا كعبُ .

كعب : أرضٌ اقْطَعَهَا له الخليفة أبو بكر . وكتب له بها كتاباً فلم يُقِرَّها عمرُ ومزّق الكتاب.

الهرمزان : ومَنْ يكونُ هذا الرجلُ ؟

جفينة : عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ الفَزَارِي .

كعب : كان من أشرفِ اشرافِ العرب في الجاهلية فأذَلَّه الاسلامُ .

أبو لؤلؤة : كلا لا يقتلُ عمرَ الا فارسيٌّ

جفينة : لقد انتظرنا ذلك طويلاً يا أبا لؤلؤة .

أبو لؤلؤة : لو أمهَلْتُمُوني قليلاً حتى أجدَ الفُرصَة المواتية .

كعب : وماذا يَضِيرُك يا أبا لؤلؤة أن يحاوِلَها رجلٌ من العرب ؟

أبو لؤلؤة : انه هدَم مجدَنا لا مجدَهم فنحن أولَى بقتلِه .

كعب : إذا دفعتَ رجلاً إلى قتلِ رجلٍ فكأنك أنت الذي قَتَلْتَه .

الهرمزان : ويرضى هذا الرجلُ أن يقتلَ أميرَ المؤمنين ؟

جفينة : قد اتفقتُ أنا معه على ذلك .

أبو لؤلؤة : اتفقتَ معه ؟

جفينة : نعم

الهرمزان : وذكرتَ له أسماءنا ؟

جفينة : لا تخَفْ يا هرمزان فإني شديد الحَيْطَة .

كعب : إياك يا جفينة.

جفينة : أنت أيضاً يا كعب ؟

كعب : إنه صديقُكَ يا جفينة

الاثنان : صديقه ؟

كعب : صديقُه الحميمُ

جفينة : ذلك أحرَى أن تطْمئِنُّوا من ناحيَتِهِ .

كعب : كلا يا جفينـــة . أخشَى أن تطمئنَّ إلى صداقته فتبُوحَ بسرٍّنا له .

الهرمزان : إذن نضيعُ جميعاً يا جفينة .

ابو لؤلؤة : وتضيعُ الغايةُ التي نسعَى لها .

جفينة : ويحكم إني قديمٌ في المهنـة لا تقع مني مثلُ هذه الهَنَاتُ .

أبو لؤلؤة : خبرني يا جفينة . أيجرُؤُ هذا الرجلُ على قتلِ عمرَ ؟

جفينة : لا يُوجَدُ في العرب أجرأُ منه ولا أشرسُ ولا أوقحُ .

كعب : لقد بلغ من جَرْأته ووقاحتِه أن دخـــل بيتَ النبي من غير استئذانٍ وعنده عائشةُ فسأل: مَنْ هذه الجميلةُ إلى جانبك ؟ حتى سماه النبيُّ الأحمقَ المطاعَ .

جفينة : افتريدُون دليلاً أكبرَ من هذا على أنه منافقٌ رقِيقُ الدين وانه لا يُبَالي أن يبيعَ الاسلامَ لمن يدفعُ له الثمنَ ؟

أبو لؤلؤة : هو إذن يبتغي ثمَناً ؟

جفينة : هذا مطلبٌ يرخُص فيه كل غَالٍ يا فيروز

الهرمزان : أوَلاَ تخشى يا جفينة أن يبلّغ عنك ؟

جفينة : كلاَّ هذا لا يكونُ إني أعرفه من قديم وأنا أتألّفُه بالمال دائماً عسى أن يقومَ لي بمثـل هذه المهمّـــةِ وهو يزورُني كلما حَنَّ إلى الشَّرَاب مع نديمٍ مأمونٍ في مكان أمين .

أبو لؤلؤة : لو كان موتوراً من عمر حقاً لما ابْتَغَى ثمناً على ذلك .

كعب : يا فيروز اذا انضافَ الطمَعُ إلى الحقد كان ذلك أبلَغ في دفْعِه إلى ما نُريد ، فليس اغتيالُ أميرِ المؤمنين عمر بالأمر الهيِّن .

(يسمع قرع على الباب)

جفينة : هذا هُوَ قد جاء .

الجميع : من ؟

جفينة : صديقي العرَبِيّ .. عُيَيْنة بن حصن. أعْطِنِي الخِنْجَرَ يا أبا لؤلؤة .

ابو لؤلؤة : ماذا تصنعُ به ؟

جفينة : ويلك سأقدِّمه لصديقي العربي (يتناول الخنجر من أبي لؤلؤة فيُخْفيه بين ثِيَابِه) اطمَئِنُّوا . لن يعرفَ أنكم عندي . هيا أدخلوا إلى الجَناحِ الآخر أوصِدُوا البابَ خلفكم .

(يخرج الهرمزان وأبو لؤلؤة وكعب)

جفينة : (يخرج ليفتح الباب ثم يعود ومعه عيينه ابن حصن) مرحباً بك يا عيينة .

عيينة : ما عندك أحدٌ ؟

جفينة : قد أخلَيْتُ البيتَ طولَ النهارِ لكَ .

عيينة : واعدَدْتَ لي ما يُذْهِب الهمَّ والحزنَ ؟

جفينة : نعم

عيينة : هلُم عجّل بذلك .

جفينة : كلا لا تشربْ اليوم يا أبا حصن .

عيينة : ولِمَه ؟

جفينة : لا ينبغي أن تفقدَ لُبَّك فتهذِي بأسرارك.

عيينة : ويلك يا ابنَ النصرانية ما تقول ؟ ألستَ تعلمُ إني لا أفْقِدُ لُبِّي أبداً ولو شربتُ عشرين باطِيَة ؟

جفينة : فلنتحدّثْ أولاً فيما اجتَمعْنا اليوم من أجله.

عيينة : كلا لا كلامَ حتى تأتينَا بالشراب .

(يحضر جفينة باطية شراب وقدَحيْن فيملأ القدحين ويقدم أحدهما لعيينة) .

جفينة : إشرب يا عيينة .

عيينة : (يتناول القدح فيعبه) الآن يَطِيب الحديثُ.

جفينة : إشرَبْ على دَمِ عمرَ !

عيينة : (مشمئزاً) ويْلَك لا تُفسِدْ عليَّ لذَّة شرابي.

جفينة : قلتَ لي آنفاً لا كلامَ حتى آتيكَ بالشراب

عيينة : أجل . كما قال امرؤُ القَيْس بن حُجْرٍ في القديم :

اليومَ خمرٌ وغداً أمرٌ

المشهد الثاني

في بيت عمر بالمدينة وعنده يزيد بن أخت النمر والمسور بن مخرمة .

يزيد : ما لِيَ أراك تَعِس النفَسِ اليوم يا أمير المؤمنين ؟

عمر : من هَمِّ البارحة يا يزيد . لم تَغْمُضْ عينيّ البارحة .

يزيد : من جرّاء اولئك الرّهْط من قريش الذين أغضَبُوك أمس ؟

عمر : نعم . ألا ترى أني أغلظْتُ لهم القولَ واشتدَدْتُ عليهم ؟

يزيد : ما أراك يا أمير المؤمنين عدوتَ الحقَّ فيهم .

لقد جمعوا بين الضرائر واتخذوا الخدَمَ في مال الله عز وجل ثم جاؤوا يقولون كثُرُ العيالُ واشتدتْ المؤونةُ ويستزيدونك الأعطياتِ .

عمر : أليس كثيرٌ ممن هم أغنى من هؤلاء قد جمعوا بين الضرَائِرِ واتَّخذوا الخدمَ كذلك .

يزيد : لكنهم لم يستزيدوك يا أمير المؤمنين في اعطياتهم .

عمر : لو احتاجوا إلى ذلك لفعلُوا .

يزيد : وماذا يَعْنيك من ذلك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : ويحك إني إذن لستُ بعادلٍ . أُلومُ هؤلاء ولا أُلومُ أولئك وأنا الذي كنتُ السببَ .

يزيد : كنت السبب فيماذا يا أمير المؤمنين ؟

عمر : في هذا التفاوُتِ بين الناسِ .

يزيد : ما ذنبُك يا أميرَ المؤمنين ؟ من اقتصد فلنفسه ومن أسرَفَ فعلى نفسه .

عمر : هيْهات يا يزيدُ . هذا لو كنت سوّيتُ بين الناس جميعاً في العطَاءِ ولم أجعلْهم طبقاتٍ .

يزيد : اوكنتَ تجعلُ من قاتلَ رسولَ الله كمن قاتلَ معه ؟

عمر : يا ليتني كنت فعلت . ان السابِقين إنما أسلَمُوا لله وعليه أجرُهم يوَفّيهم ذلك يوم القيامة وإنما الدنيا بلاغٌ .

يزيد : يا أمير المؤمنين انك تتمثَّلُ اليوم بقول أبي بكر .

عمر : أجل ليتني اتبعتُه يا يزيد .

يزيد : ما خطبك يا أمير المؤمنين ؟ لقد كنتَ على بصيرَةٍ من أمرك حين خالفْتَ أبا بكر .

عمر : أجل ولكني أدركْت بآخرَة أن أبا بكر

كان أبعد مني نظراً وأسدَّ رأياً وأصوبَ وأحكمَ .

يزيد : يا أمير المؤمنين أوتظن ان لو سوَّيت بين الناس لا يكون بينهم تفاوُتٌ ؟

عمر : لا، ليكونن التفاوتُ بينهم بعدُ ولكن التبعةَ لا تكون حينئذ عليَّ .

يزيد : أتراك يا أمير المؤمنين تريد أن ترجِعَ إلى رأي أبي بكر ؟

عمر : نعم .

يزيد : اليوم بعد ما انشأت الديوانَ وأجرَيْتَه على رأيك الأوَّل سنين ؟

عمر : وأي ضيْرٍ في الرجـــوع إلى الأصْوَبِ والأصلحِ ؟

يزيد : انك لن تستطيع أن تُنقِصَ من عطاءِ أحدٍ شيئاً والّا ثارَ وغضبَ .

عمر : أرجُو أن يكثُرَ المالُ فازيد في عطاءِ المُقِلِّ

ولا أنقصُ من عطاء المكثر . لئن عَشْتُ حتى يكثر المالُ لأجعلَنَّ عطاءَ الرجل المسلِم ثلاثة آلاف . ألف لكُرَاعه وسِلَاحه ، والف نفقة له ، وألف نفقة لأهله .

يزيد : ما إخَالُ ان المالَ يَفي بذلك يا أمير المؤمنين أبداً .

عمر : لا جرَمَ إذن ان يُواسي بعضُهم بعضاً

يزيد : كلا لا تفعلْ يا أمـــير المؤمنين . لتكوننَّ فتنةٌ في الناس .

عمر : ويحك لأن تقع الفتنةُ وأنا حيٌّ فأواجِهُها بما أقدِرُ عليه خير من أن تقـــعَ بعدي وأُسألَ عنها يومَ القيامة .

يزيد : بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين لشدَّ ما تكلِّفُ نفسَك فوق ما تُطِيقُ .

عمر : ان كنت تحبُّني يا يزيد فادْعُ الله لي أن يَقْبِضَني اليه غيرَ ملُومٍ ولا مُضيَّع .

يزيد : أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين فيا ليت شِعْري ماذا يصنعُ الذي يأتي من بعدِكَ ؟

عمر : لقد شغلني البارحةَ هذا الأمرُ أيضاً يا يزيد. ان الأمرَ شُورَى بين المسلمين ولكن كيف السبيلُ إلى ذلك والمسلمون منتشرون في الآفاقِ ؟

يزيد : هوِّن عليك يا أمير المؤمنين .. ليُلهِمنَّك الله السبيلَ حين يشاء .

عمر : أجل لقد سنَح لي البارحة رأي أرجو أن يكون هو السبيلَ .

يزيد : ماذا سنح لك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أن أطوّف في الأمطار فاقضيَ في كل مصرٍ منها شهرين شهرين لعل للناسِ حوائجَ لا تصل إليّ ، ولأستفتيهم فيمن يحبون أن يَخلُفني من صحابة رسول الله الذين تُوفِّي وهو عنهم راضٍ . فما رأيك ؟

يزيد : نِعْم الرأيُ هذا يا أمير المؤمنين . بَيْدَ انك ستقضي في طوافك هذا حولاً كاملاً .

عمر : أجل ولنعْمَ الحول هو ان شاء الله .

(يدخل أسلم)

أسلم : يا أمير المؤمنين هذا عينة بن حصن يستأذن عليك .

يزيد : عيينة بن حصن ؟

عمر : ما خَطْبك يا أسلم ؟

أسلم : قلتُ له يا أمير المؤمنين انك لا تقابِل أحداً اليوم ولكنه اقسَم ليلزَمنّ الباب حتى تأذَنَ له .

يزيد : لأصرفنَّه عن بابك يا أمير المؤمنين

عمر : كلا لا تفعل

يزيد : انك متعَبٌ يا أمير المؤمنين وهذا فظّ غليظُ القلبِ .

عمر : لا بأس يا يزيد . ائذن له يا أسلم .

(يخرج أسلم ثم يدخل عيينة بن حصن)

عيينة : منذ كم اتخذت الحجّابَ على بابك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : ويلك الا تسلّم أولاً عند دخولك ؟

عيينة : ذاك لو أذِنتَ لي ولم تتركْني كالكلب على بابك .

عمر : ما زِلت يا عيينة جافِياً سيّءَ الأدب كما كنتَ .

عيينة : بل ما زلتم تتجاهلون أني سيدُ قومي .

عمر : أجل أنت الأحمقُ المطاعُ .

عيينة : أُيُّنا أسوأ أدباً ؟ أتشتُمَني يا عمر وأنا في بيتك ؟

عمر : ويلك ذاك رسولُ الله ﷺ هو الذي سماك الأحمقَ المُطاعَ . ألم يبلُغْك ذلك ؟

عيينة : ذلك لأني اقتحمتُ بيتَه بغير استئذان وأنا لم أقتحمْ اليوم بيتَك . ولم يقُلْها وأنا في بيته إنما قالها بعد ما انصرفت .

عمر : إنما ذلك من حَيائِه ﷺ .

عيينة : بل من حُسْنِ أدَبِه .

عمر : صدقت ولكنك لن تجد مني يا عدو الله إلا ما تستحقُّ من الشدةِ والزجْرِ . إجلس الآن ماذا تريد ؟

عيينة : أريد أن أحادثَك في أمر .

عمر : هاتِ ما عندك .

عيينة : وهذا الذي ينظر شَزْراً إليّ ؟

عمر : ما شأنُكِ به ؟

عيينة : ماذا يصنع هنا عندك ؟

عمر : ليس من شأنك .

عيينة : لا أريد أن يطَّلِعَ على سِرّي .

عمر : هذا يزيـــد بن أخت النمر عضُدِي وعَيْبَة سِرِّي .

عينة : ليس لي هو بعضد ولا بعيبة سر .

عمر : (ينظر إلى عينة ملياً ثم يقول ليزيـــد) أخْلِنا يا يزيد .

يزيد : يا أمير المؤمنين هلا أَحلْتَه عليّ فأقضِيَ له حاجتَه ؟

عينة : ويلك أأنت أميرُ المؤمنين ؟

يزيد : (يكظم غيظـه) أنا خادِمُ أميرِ المؤمنين وستجدُ عندي ما تحبُّ .

عينة : سبحان الله لا أريد إلا أميرَ المؤمنين.

عمر : أتركنا يا يزيد .

(ينهض يزيد لينصرف وهو ينظر إلى عينة)

عينة : تَملَّ يا هذا من وجه الأحمق المطاع قبل أن تنصرِفَ !

يزيد : آه لولا مكانُ أمير المؤمنين (ينظر إليه عمر فيخرج)

عينة : وأذُلاّه. أصبح كل صغير وكبير يتوَعّدني. ليْتَ لأبي عينـــاً ترى ماذا جَرَى لابن الأشياخِ الشُّمّ بعده !

عمر : إذن لرأت عيناه مـا ساءه . دعني يا عدو الله من دَعْوَى الجاهلية وهات ما حاجتُك؟

عينة : ألا تعرف يا عمرُ ما حاجتي ؟

عمر : (ينظر إليه) بلى أعرف حاجتك والله لئن رُمْتهَا ليُخزِينَّك الله .

عينة : ما أراك إلا أبعَدْتَ !

عمر : كذبت. والله يا عينة لو سابقْتَني لسبقتك. ولو صارَعْتني لصرعتـــك . ولو أردتُ لحملتُك بيديَّ هاتين فرميتُك من هـــذه الكَوّة إلى الطريق .

عينة : سلْ بي يا عمر : إني قتلت كُرزَين العُقيل

ولم يقدِرْ عليه غيري .

عمر : أليس هو الذي عَقَر أباك .

عينة : بلى .

عمر : إن كنت في سبيل الشيطان أخذْتَ بثأر أبيك فإني في سبيل الله قتلت خالي !

عينة : خالُك شقيقُ أمك ؟

عمر : نعم .

عينة : أنا يا عمر لست مَن يُخيفه التهديد ولا الوعيدُ .

عمر : وأنا لست من يهدّدُ بالباطل .

عينة : أتُحب رأيي فيك ؟ إنك لا تعطي الجزْلَ ولا تحكم بالعدلِ .

عمر : أراك تتعمّدُ إغضابي لأمر تَطْويه وشر تنْويه .

عينة : إني جئتُك في حاجة فالهَيْتني عنها بأحاجيك .

عمر : بل تُخْفي في ثيابك حديدةً لتجَانِيَ بها يا عدو الله .

عينة : (يضطرب) من أنبأكَ يا أمير المؤمنين؟

عمر : أنبأتني خائنَةُ عيْنك وخاتلةُ يدِك .

عينة : بل توَهّمت يا أمير المؤمنين من خوفك .

عمر : كلا لتعترِفَنّ بها أو لأرينَّك ما تكره .

(يهم عينة ان يثب على عمر ولكنه يتراجع حين يسمع صوت أم كلثوم) .

أم كلثوم : (صوتها) هل عندك أحدٌ يا أمير المؤمنين.

عمر : نعم يا أم كلثوم عندي عينة بن حصن فهل عندك شيء تقدمينه إليه ؟

أم كلثوم : (تظهر على الباب) ما عندنا غيرُ طبق من التمر وكسرَةٍ من الخبز .

عمر : ولا إدام ؟

أم كلثوم : لا إدام غير الملح .

عمر : هذا سيدُ قومه يا أم كلثوم .

أم كلثوم : ما عندنا غير ما ذكرتُ يا أميرَ المؤمنين .

عيينة : أبْقِيه إذن عندك . لا أريد أن آكُلَ عندكم ولست بجائعٍ .

أم كلثوم : علامَ إذن جئتَ في وقت الغداء ؟

عيينة : يا هذه دَعِي بعْلَك هو الذي يسألُني إن شاء.

أم كلثوم : أهذا يا أمير المؤمنين سيدُ قومه ؟ (تخرج)

عيينة : أهكذا ألسنتُكم يا آل عمر ؟

عمر : مه . يا عدو الله . هذه من آل محمد . فقل خيراً أو فاصمُتْ .

عيينة : صمَتٌّ يا أمير المؤمنين .

عمر : ما يمنعك يا عيينة أن تتغدى معي .

عيينة : إني ما جئت لتُسْكِتني عن حاجتي ببضع تمرات وكسرةَ خبز وملح .

عمر : يا عـــدو الله الى م تداوِرُني وأداورك ؟

خذ ! (يضربه بالدِّرَّة على أم رأسه) .

عيينة : (تذهله المفاجأة) ما هذا يا ابن الخطاب ؟

عمر : (يضربه الثانية) قل يا أمير المؤمنين (يهدده بالثالثة)

عيينة : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟

عمر : ألست تحاوِلُ منذ دخلت عندي أن تستثيرَ غضبَكَ؟ فهأنذا قد أثرتُه لك فارِني يا عدو الله ما عقَدْتَ عليه عزمَك. أم تريد المزيد بعد فازيدَك ؟

عيينة : (في اضطراب) حسبك يا أمير المؤمنين . أقِلْني .

عمر : كلا والله لا أُقيلُك حتى تذكر لي سبباً آخر لمجيئك اليوم فأعذرك به .

عيينة : أو شكوى يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أو شكوى .

عيينة : أو حاجة ؟

عمر : أو حاجة .

عيينة : يا أمير المؤمنين أتذكر تلك الأرض السبْخَة التي أقطعَنِيها خليفةُ رسول الله ؟

عمر : (مقاطعاً) كلا ما أقطعَهَا لك بعدُ .

عيينة : لقد كتب لي بها كتاباً .

عمر : ما كان لينفُذ حتى يشهدَني عليه وقد اعترضْتُ ومزّقت الكتابَ .

عيينة : كأنما كنت أنت الخليفة من دونه .

عمر : (يترقرق الدمع في عينيه) هكذا كُنّا أنا وأبو بكر . يرحم اللهُ أبا بكر .

عيينة : لكنك ظلمتَني يا أمير المؤمنين بما فعلتَ .

عمر : كلا يا عيينة لو كان ظلماً ما أقرّني عليه أبو بكر .

عيينة : كنتَ أقوى منه فغلبْتَه على أمره .

عمر : معاذ الله ما كنت أقْوَى قط من أبي بكر .

عيينة : كلُّ الناس تقول ذلك .

عمر : لا تصدقْ يا عيينة كلَّ ما يقال . إنك ارْتدَدْتَ يا عيينة فيمن ارتدّ بعد وفاة رسول الله .

عيينة : نعم يا أمير المؤمنين.

عمر : ولحقت بطُلَيْحَةَ بن خُويلد وآمنت به ؟

عيينة : ولكني رجعتُ إلى الإسلام بحمْدِ الله . حتى طليحة نفسه رجع إلى الإسلام واستُشهد في سبيل الله .

عمر : إسمع يا عيينة ما أقول لك . لقد اعترَضْتُ على أبي بكر في قتال أهل الردَّةِ بكل ما أُوتيتُ من قوة وعُنْفٍ فلم يرجع عن رأيهِ إذ اعتقد أنه الحقُّ بل أصرَّ عليه حتى ردّ اللهُ به الإسلام . ولولا قوةُ أبي بكر وصَلابَتُه في الحق لضاعَ الإسلام .

عيينة : لا شأن لي بما كان بينك وبين أبي بكر ولكن هل تَرَى من العدل يا أمير المؤمنين أن تصير تلك الأرضُ اليوم جنةً خضراءَ ولا تكون لي ولا للمسلمين بل لِطَلْحَة ابن عبيد الله ؟

عمر : انها لم تُعْطَ لطلحة بل اشتراها بمالِه من المسلمين ثم استَصْلَحَها .

عيينة : أنا كنت أولى بشرائها من طلحة وأحوَجَ إليها منه .

عمر : ومن أين لك المالُ ؟

عيينة : ومن أين لطلحة يا أمير المؤمنين وأمثالِ طلحة ؟

عمر : من عطائهم .

عيينة : بل مما يفضلُ من عطائهم .

عمر : أجل . مما يفضل من عطائهم .

عيينة : فعلام لا يفضلُ من عطائي أنا شيء يا أمير المؤمنين ؟ أليس ذلك لأن عطاءهم أوسعُ ؟

عمر : اللهم بلى .

عيينة : اوليس ذلك لأنهم من السابقين وأنا من المتخلِّفين ؟

عمر : اللهم بلى .

عيينة : أفترى من العدل يا أمير المؤمنين ان يبقى عطاءُ السابقين كبيراً حتى بعد ما صارُوا أغنياءَ ويبقى عطاءُ المتخلِّفين صغيراً حتى بعد ما أصبحوا فقراءَ ؟

عمر : ويلك يا عيينة أنَّى لك هذا ؟

عيينة : أغْضَبَك قولي يا أمير المؤمنين ؟

عمر : لا بل أعْجَبَني .. إمْضِ يا عيينةُ في حديثك .

عيينة : إنك لتذكرُ يا أمير المؤمنين أن رسولَ الله ﷺ كان يَغْدقُ علينا المالَ ويؤثِرُنا به على

السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

عمر : أجل كان ﷺ يتألّفُ قلوبكم ويكلُ الآخرين إلى ما في قلوبهم من إيمان .

عيينة : فقد انقلَبَتْ الآيةُ يا أمير المؤمنين اليوم .

عمر : كيف ؟

عيينة : صار السابقون إلى الإسلام هم المؤلّفةَ قلوبُهم !!

عمر : هيه يا عيينة بن حصن . لقد نطقْتَ بالحق من حيث أردْتَ الباطلَ .

عيينة : (فرحاً) أحقاً يا أمير المؤمنين أعجبك ما قلت ؟

عمر : نعم .. لقد كان عَرَضَ مثلُ هذا الخاطر وسألت اللهَ أن يُلْهِمَني الصوابَ فيه وما أرى إلا أن الله قد استجاب لي فساقَك اليوم إليَّ لتزيدَني به إيماناً ويقيناً .

عيينة : يا أمير المؤمنين فماذا أنت فاعلٌ ؟

عمر : تكتُمُ عني يا عيينة إلى حين ؟

عيينة : نعم .

عمر : والله لئن عشت الى قابل لألْحِقَنَّ آخرَ الناس بأوّلهم ولأجعلَنَّهم رجلاً واحداً .

عيينة : أتُسوِّي يا أمير المؤمنين يومئذ بيني وبين طلحة والزبير ؟

عمر : نعم .

عيينة : إذن والله يسعدُ الناسُ جميعاً يا أمير المؤمنين ولا يبقى فيهم من شانِىء ولا حاقِد .

عمر : وتنتَهِي يا عيينة عن الخمر ؟

عيينة : قد انتهيْت عنها يا أمير المؤمنين من قديم .

عمر : بل تعاودُها بعدُ يا عيينه . إني أعرف اثَرَها في الشاربين .

عيينة : لا والله .

عمر : كلا لا تحلفْ .

عيينة : من أين أجدُها يا أمير المؤمنين ؟

عمر : لا تكذبني يا أخي .

عيينة : (تدركه الرقه) يا أخي ! تقول لي يا أخي يا أمير المؤمنين .

عمر : أنت أخي في الله يا عيينة .

عيينة : (يبكي تبتُ إلى اللهِ يا أمير المؤمنين. والله لا أعودُ إلى شُربها أبداً .

عمر : تحب ان تتغدى معي الآن ؟

عيينة : لا يا أمير المؤمنين بل أئذن لي لأنصرفَ .

عمر : إذا شئت يا عيينة (ينهض)

عيينة : (يتوجه نحو الباب لينصرف ولكنه يعود ويجْهَشُ بالبكاء) يا أمير المؤمنين .

عمر : ما خطبك يا عيينة ؟ ماذا يبكيك ؟

عيينة : لقد جئت اليوم حقاً وأنا أنوي اغْتيالَك .

عمر : دع عنك هذا فقد نجّاك اللهُ منه .

عيينة : سامحني يا أمير المؤمنين .

عمر : قد سامحتُك من قبل .

عيينة : وعندي نصيحة .

عمر : هاتِ فإني سامعٌ .

عيينة : اطردْ العَجَم جميعـاً يا أمير المؤمنين من المدينة .

عمر : ويحك ليس لنا ذلك يا عيينةُ بعد ما صلّوا إلى قبلَتِنا وتكلموا بلسانِنَا ورُضوا بعهدِنا وذمَّتِنا .

عيينة : إنهم قومٌ لا عهدَ لهم ولا ذِمةَ .

عمر : رويدك لا تجعلني أُسيءُ الظنَّ بك مرة أخرى .

عيينة : فاحذرْهم إذن على نفسك يا أمير المؤمنين فعَسَى أن يقتلَك رجلٌ منهم .

عمر : (ضاحكاً) أو من غَيْرِهم ؟

عيينة : بل منهم يا أمـــير المؤمنين منهم بخنجر مَسْمُومٍ .. في هذا الموضع (يضع اصبعه في مَراق بطنه) .

عمر : مه يا عيينة لا تُثيرَنَّ فتنةً في الناس .

عيينة : والله إني لأحبك يا عمرُ وأخشَى عليك .

عمر : وانا احبك يا عيينةولكني لا أخشى عليك.

عيينة : اتّخِذْ لك حرَساً يحمُونك من كيدهم .

عمر : ويحك يا عيينة ألم تَجِىءْ اليوم لتغتالني فعصمَني الله منك ؟

عيينة : بلى ولكنّ هؤلاء العجم ..

عمر : لسوف يعصِمُني الله منهم كما عصمَني منك .

المشهد الثالث

بهو في قصر مـــاهويه مرزُبان مَرْو الشاهجان .

يرفع الستار عنماهَويه وزوجته ارسان.

أرسان : يعجبك صَنيعُه يا ماهويه ؟ هذا الشريدُ الطّريدُ ؟

ماهويه : ماذا فعل أيضاً ؟

أرسان : ما زال يـــلاحِقُني بغزلِه حتى اليوم . يعتبرُني كأني جاريةٌ من جواريه .

ماهويه : لم يزَلْ يحسب نفسه شاهنشاه كما كان.. يملك كلَّ شيء في فارسَ ويفعل كل ما يريد .

ارسان : وتسكتُ أنت على ذلك ؟

ماهويه : لا بأس . لنصبرْ قليلاً يا ارسان عليه.

ارسان : كلا لن احتمِلَه بعد اليوم .

ماهويه : لقد احتملناه طويلا يا ارسان .

ارسان : ذاك إذ كان لنا مطمعٌ في الكنوزِ التي أودعها عندك . أما اليوم فلم يَبقَ لنا فيها مطمع .

ماهويه : وما ذنبُه هو يا ارسان ؟ ان أهلَ فارسَ هم الذين هدّدوني بالقتل ان لم أمنَعْه من أخذِ شيءٍ منها واحفظْها لهم كاملةً .

ارسان : إذن فما الذي يضطرُّنا أن نحتمل نزَواته وكبرياءه التي لا تُطاق ؟

ماهويه : ماذا أصنع ؟ أأطردُه من قصري ؟

ارسان : ماذا يمنعُك ؟

ماهويه : وخاقانُ ملكُ الترك الذي نزل ضيفاً عليه؟

ارسان : عليه هو أم عليك ؟

ماهويه : (ضاحكا) عليه هو عندي .

ارسان : اطردُهما معاً .

ماهويه : صهَ . هذا وزيرُ خاقان قد أقبلَ . انسَحِبي يا ارسان .

(تخرج ارسان ويدخل طرخان)

طرخان : (يفخم الكلمات)مولانا الخاقان

ماهويه : قادمٌ ؟

طرخان : نعم . قادم

ماهويه : أهلاً وسهلاً .

(يدخل الخاقان)

ماهويه : مرحباً بمولاي الخاقان .. لعلك سعيدٌ بالاقامةِ في دَارِنا .

خاقان : مع مَلِكِكُم هذا الكذَّابُ ؟ يوك يوك .

ماهويه : تفضل يا مولاي . أجلِسْ .

خاقان : أنا لا أريدالجلوسَ اليك. أنا أريد يزدجرد. أين هو ؟

ماهويه : في جَناحِه يا مولاي .

خاقان : قل له يحضُرْ لمقابلَتِنا هُنا في البَهْو .

ماهويه : سأقول له يا مولاي

خاقان : في الحال .

ماهويه : في الحال (يخرج)

خاقان : طرْخان

طرخان : نعم يا مولاي.

خاقان : أنت مُوقِنٌ أن كنوزَه في هذا القَصْر الذي نحن فيه ؟

طرخان : نعم . الناسُ جميعاً تقولُ ذلك .

خاقان : ماذا لو أخذْناها منه بالقوة ؟

طرخان : وكيف نحمِلُها يا مولاي بعد ذلك ؟ لتقومن بيننا وبين أهل فارسَ حربٌ .

خاقان : صَدقْتَ يا طرخان . نريد أن نعودَ إلى بلادنا سالمين .

(يعود ماهويه ومعه يزدجرد وفرخزاد وزيره)

يزدجرد : نعم يا صديقي ملكَ الترك. ماذا تريد مني ؟

خاقان : الاَ تعرفُ ماذا أريدُ منك يا يزدجرد ؟

يزدجرد : اخبِرْني .

خاقان : كنوزُك . الكنُوزُ التي وعدتني بها يوم جئتَ تستَغيثُ بي في سَمرْقَند .

يزدجرد : ليس في وسعي أن أخرَجها الآن يا خاقان والا استولى عليها العربُ

خاقان : وتريد أن تُبْقِيَهَا حتى تقَع في أيديهم ؟

يزدجرد : كلا بل سانتظرُ حتى تاتيَ اللحظةُ المناسبةُ .

خاقان : لكني لا استطيع أن أنتظرَ . لقد مرّ بي أكثرُ من شهر هنا في فارسَ . اني راحلٌ

يزدجرد : قبل أن تطرُدَ هؤلاء العربَ من بلدي ؟

خاقان : أطردُهم ؟ بعد ما استولوا على كل شبر في بلدك ؟

يزدجرد : أنت وعدْتَني بذلك .

خاقان : أنت لم تصارِحْني بالحقيقه . أنت وَصفتَهم لي بغير صُورتهم .

يزدجرد : وعَرفْتَهم اليوم على حقيقتهم ؟

خاقان : نعم .

يزدجرد : أفلا تخْشَى منهم أن يعبُرُوا النهرَ إلى بلدك ؟

خاقان : ان ملكَهم في جزيرة العرب يمنعُهم من ذلك.

يزدجرد : أو قد غرَّك ذلك من عمر؟ لقد كان يأمرهم ألا يتجاوَزوا حدودَ العراق إلى فارس فانظرْ كيف توغَّلوا اليوم في خراسان .

خاقان : ما فعلوا ذلك إلا حينما نقضْتُم العهدَ الذي بينكم وبينهم .

يزدجرد : مَنْ قال لك ؟

خاقان : قد عرفتُ كلَّ شيء .

يزدجرد : من تلك الرسالةِ التي أرسلَها اليك قائدُهم الأحْنَفُ ؟

خاقان : نعم .

يزدجرد : وصدَّقتَ ما جاء في رسالَتِه ؟

خاقان : كيف لا وقد رَشقَها في سَهم لو شاء أن يقتُلَني به لفعل ؟

يزدجرد : وما يدريك أنه ما كان يقصِدُ قتلَكَ ؟

خاقان : قل له يا طرخان . اشرحْ له ما حدَثَ

طرخان : لقد اتّضَح لنا أنـــه رمى سهمَه ذاك من مكانٍ جَدّ قريبٍ .

يزدجرد : وتركتموه مع ذلك يفِلتُ ؟

طرخان : انه لم يبرَح مكانَه بل نادانا إلى مبارَزَتِهِ فتصدّى له ثلاثةٌ من أشجَع رجالنا فقتَلَهم واحداً بعد واحد ثم انطلَقَ على جَوادِه فكأنما ابتلَعَتْه الأرضُ .

يزدجرد : (لخاقان) وداخلَكَ الخوفُ منهم بعد ذلك؟

خاقان : (غاضباً) اسكتْ . لا يُوجَدُ في الأرض من يُدَاخِلُني الخوفُ منه ولكني اقتنعت ألا جدوى من قتالهم اليوم وانك استَغَثْت بعد فَوَاتِ الأوان .

يزدجرد : والآن ماذا تريد مني ؟

خاقان : الكنوزَ .

يزدجرد : بأي حقّ ؟

خاقان : أنا لا أريدُها لنفسي وإنما أريد أن أحفظَها لك عندي قبل ان تقــعَ في أيدي هؤلاء العربِ .

يزدجرد : (في حرقة) كلُّ مَنْ يطمعُ فيها يقولُ لي مثلَ هذا القولِ !

خاقان : لا تنْسَ أنك تركْتَ أهلَــك وعشيرتَك وحاشيتَك عندي في سَمَرْقَنْد !

يزدجرد : تريد ثمنَ الضيافةِ ؟

خاقان : أريدُ الوفاءَ بالوعد .

يزدجرد : اسبقني أنت وسألحقُ بك .

خاقان : والكنوز ؟

يزدجرد : ستكونُ معي .

خاقان : إياك أن تكذِبَ .

يزدجرد : أنت تَرَى ألّا بقاءَ لي هنا وألّا مناصَ لي من عُبُور النهر إلى بــلدِكَ أفتظنّني أتركُها لأعداءِي العرب أو للسِّفْلَة من أهل فارسَ والرَّعاعِ ؟

خاقان : (ينهض) تذكَّر الرهينَة التي عندي من أهلِك وعيالِك وحاشِيَتِك . هلُمّ يا طرخان (يخرج ويخرج طرخان معه) .

فرخزاد : أحسنتَ يا مولاي اذ لم تُجِبْه إلى ما طلب.

يزدحرد : ماذا تَعْني ؟

فرخزاد : يجب أن تبقى هذه الكنوزُ في بلاد فارس.

يزدجرد : (ينظر اليه شزراً) ليَقْتَسمَها السِّفْلةُ من أهل فارس ؟

فرخزاد : خيراً من ان يستوليَ عليها خاقانُ ملكُ التّركِ .

يزدجرد : اني لن اَلحقَ بملك الترك .

فرخزاد : فاين تذهب يا مولاي ؟

يزدجرد : سألحقُ بملكِ الصِّين .

فرخزاد : وأيُّ فرق بين هذا وذاك ؟

يزدجرد : ملكُ الترك فقيرٌ وملك الصين غَني .

فرخزاد : ألا تعلمُ يا مولاي ان الملكَ الغنيّ احرصُ على الكنوز النادِرَة من الملك الفقيرِ ؟

يزدجرد : (في يأس) فماذا تُشيرُ عليَّ أن أفعلَ ؟

فرخزاد : اني قد اتفقت معهم يا مولاي .

يزدجرد : مع مَنْ ؟

فرخزاد : مع أهل الحلّ والعقد من أهل فارس .

يزدجرد : دون أن تستشيرني ؟

فرخزاد : ما كنتَ لتقبلَ يا مولاي .

يزدجرد : وتكرُهني أنت على الاتفاق مع هؤلاء الغَوغاء؟

فرخزاد : من أجل مصلحتك يا مولاي .

يزدجرد : مصلحتي أنا أم مصلحتُك ؟

فرخزاد : مولاي إنك تعرفُ إخلاصي لك .

يزدجرد : كلا ما عدتُ اليوم اعرفُ شيئاً. ما يُدْريني ماذا تكونُ حقيقةُ قصدِك ؟

فرخزاد : مولاي أبَعْدَ كل ما فعلتُ من أجلك تتَّهِمُني ؟

يزدجرد : ماذا فعلت لي يا هذا ؟ اتمُنُّ عليّ أنك لازَمْتني طوَال هذه المدة ؟

فرخزاد : وتقبلتُ إهاناتِك وسفاهاتك واحتملتُ نَزواتِك وبَدَواتِك ؟

يزدجرد : هذا يرجّح عندي أن لك مأرباً كبيراً تسعى لتحقيقه .

فرخزاد : صدقت يا شاهنشاه. الإخلاص لمن لا يستحقُّ الاخلاصَ مظنَّة !

يزدجرد : إسمع يا ماهويه ماذا قال عني . اشهَدْ عليه.

فرخزاد : إني ما قلت إلا الحقّ . الإخلاص لمن لا يستحق الإخلاص مظنَّة .

يزدجرد : أنا لا أستحق الاخلاص ؟

فرخزاد : أحْرَى بك أن تُوجِّه هذا السؤالَ إلى كل من تَخَلّى عنك من رجالِك لا إلى الرجلِ الوحيدِ الذي بَقِيَ إلى جانبك !

يزدجرد : (بعد صمت يسير) وعلى أي شيء اتفقْتَ معهم ؟

فرخزاد : على أن تحملَ شيئاً من كنوزِك معك وتدع الباقي لأهل فارس .

ماهويه : هذا مكسبٌ كبيرٌ يا مولاي أحرَزَهُ وزيرُك لك .

يزدجرد : كلا لا أقبلُ أبداً .

ماهويه : اقبل يا مولاي خيراً لك .

يزدجرد : ها فهمتُ الآن . إنكما مُتَواطِئان عليّ . كلاكُما وضيعُ الأصلِ من السِّفلة ولذلك

أيّدتما مطلبَ السِّفلة .

فرخزاد : مولاي احفَظْ لسانَك . لولا دفاعي عنك ودفاعُ المرزُبان ماهويه لوَثَب عليك هؤلاء الذين تُسمّيهم سِفْلة .

(يدخل جماعة من العامة يتقدمهم رجلٌ منهم)

يزدجرد : (مغضباً) من هؤلاء ؟ كيف دخلُوا علينا بغَيْرِ إذن ؟ ماهويه !

الرجل : أنا أجيبُك يا يزدجرد . نحن مبعوثون من أهل فارس.

يزدجرد : تدخلون بغيْرِ إذنٍ ؟

الرجل : قد استأذَنّا صاحبَ القصر من قبل .

يزدجرد : أحقاً يا ماهويه ؟

ماهويه : ليس في إمكاني أن أمنعَهم يا مولاي .

يزدجرد : أأنت مرزبان ؟

الرجل : لا

يزدجرد : دهْقان ؟

الرجل : لا

يزدجرد : من البيوتات ؟

الرجل : لا

يزدجرد : فكيف تريدُ أن تتكلم مع ملك الملوك ؟

الرجل : كنتَ ملكَ الملوك فيما مضى يا يزدجرد . أما اليوم فما أنت إلا صُعلوك متشرِّدٌ تتسكَّع من بلد إلى بلد . وأنا لا أتكلم عن نفسي ولكن عن أهل فارس .

يزدجرد : وماذا تريدون ؟

الرجل : الكنوزَ والأموالَ التي خبّأتها .

يزدجرد : ما شأنكم بكنوزي وأموالي ؟

الرجل : إنها أموالُ أهل فارس.

يزدجرد : أموالُ آبائي وأجدادِي ورِثْتُها عنهم.

الرجل : كانت عند آبائك وأجدادك حين كانوا ملوكَ فارس .

يزدجرد : وهي اليوم عندي . أنا ملكُ فارِس .

الرجل : كلا لست أنت اليوم بملك فارس .

يزدجرد : فمن مَلِكُها اليوم عندكم ؟ عمرُ في بلاد العرب ؟

الرجل : عمر هذا ليس بملك البَتّة ولا في بلادِ العرب ذَاتِها .

يزدجرد : فمن إذن ملكُكُم اليوم ؟

الرجل : كلا لا ملكَ لنا اليوم وإنما أمورُنا بأيدي أهل الحلّ والعقْدِ وقد أجمعُوا على أن يمنعُوك من إخراجِ كنوزِ بلادهم إلى بلادِ الترك .

يزدجرد : أتريدون أن يأكلَها هؤلاء العربُ ؟

الرجل : إن أصرَرْتَ على الهَرَب بها فستقَعُ في أيديهم لأنهم يترصَّدُون طريقك اما ان تركْتَها بأيدينا وصالَحْناهم على الجزْيَة والخَراجِ فإنها ستَبْقَى لنا وليس للعرب منا غيرُ جزيتهم وخراجِهم على الأرض .

يزدجرد : وماذا تصنعُون أنتم بهذه الكنوزِ ؟

الرجل : سننفِقُها في تحسِين أحوالِ الناوإصلاحِ مَرَافِقِنا.

يزدجرد : كنوزُ كسرى لا يصحُّ لأحد أن يبيعَها.

الرجل : فما بالُك تريد أن تبيعَها خارجَ فارس؟

يزدجرد : كلا أنا لن أبيعَها أبداً .

الرجل : فماذا تصنَعُ بها ؟

يزدجرد : سأحتَفِظُ بها هنـــاك ثم أعودُ بها حين نَنْتَصِرُ .

الرجل : هيهات لَينْتَزِعنَّها ملكُ الترك من يدك.

(يدخل أحد الجنود فزعاً)

الجندي : أدركنا يا سيدي المرزبان .

ماهويه : ماذا حدث ؟

الجندي : طلائع جيشِ العرب قد أقبلت من بعيد !

الجميع : طلائعُ جيش العرب ؟!

الرجل : الآن وَجَبَتْ . يا فرخزاد عـــلامَ عوَّل شاهنشاهُك ؟

فرخزاد : إئذنْ للمرزبان ماهويه أن يسلِّم الينـــا ما اتفَقْنا عليه .

الرجل : أعطِهِ خُمسَ العُشُر يا مـاهويه ليهرب به حيث شاء .

يزدجرد : خُمْس العُشُر ؟!

الرجل : ليسَ لك عندنا غيرُه .

فرخزاد : هذا ما اتفَقْنا عليه يا مولاي .

يزدجرد : هذه خيانَةٌ .

فرخزاد : هيا يا مولاي قبل أن يأخُذَ العربُ علينا الطريقَ .

يزدجرد : خيانة ! خيانة ! في كل مكانٍ ! ومن كلِّ انسانٍ !

المشهد الرابع

هو صغير في بيت النارِ بمدينة اصطُخْر يَرى المُوبَذان صاعداً من باب سِرّي على أرض البَهُو ومعه رَاهَوَيه . يحكمان غلق الباب السرّي وتغطيته بالسجادِ الغليظِ ثم يجلسان عليه .

الموبذان : رأيتَها يا راهويه ؟ اطمأن الآن قلبك ؟

راهويه : الحقّ اني ما عرفْتُها في أولِ الأمرِ . لشدّ ما تغيّرتْ .

الموبذان : أتدري كم مرّ عليها عندنا اليوم ؟

راهويه : أربعُ سنين فيما أُظنّ

الموبذان : وخمسةُ أشهرٍ

راهويه : ولم تقدِرُوا أن تعيدُوها إلى دين آبائِهَا ؟

الموبذان : لا سبيلَ إلى ذلك يا رَاهويه .

راهويه : عذّبتُمُوها ؟

الموبذان : بمُخْتَلِف الوسائلِ . جلدْناها بالسّياط وضربناها بالعِصِيّ وكوَيْناها بالنار ونزعنا الشعرَ من رأسها والأظافرَ من يديها ورجليها .

راهويه : ولم تكفُرْ بدينها ؟

الموبذان : كان يُغشى عليها وهي تردّدُ مع ذلك : لا الهَ إلا اللهُ . محمدٌ رسول الله .

راهويه : لقد ظَنّ مولاي انها قد رجعَت إلى صوابِها من زمن بعيد .

الموبذان : لقد شهدْتَ بنفسك اننا لم نالُ جُهداً في ذلك .

راهويه : أجل سأبيّن له كل شيء .

الموبذان : وأين يُقيمُ الآن مولاك ؟

راهويه : أعْفِني يا سيدي الموبذان .

الموبذان : لا تخَفْ فاني على السرِّ أمين . إني أنا الموبذان الأكبر يا راهويه حارس بيت أناهيذ .

راهويه : صدقتَ . أنت حافِظُ اسرارِ النار المقدَّسة . إن مولاي يقيمُ الآن في خُراسان مُتَنَكِّراً لا يعرفهُ أحد .

الموبذان : وأبوه الهرمزانُ ما زال يكاتِبهُ ؟

راهويه : أبوه الهرمزان قد أسْلَمَ يا سيدي .

الموبذان : أعرف أنه أسلَمَ وأنه مُقيمٌ حتى اليوم في المدينة عند عمر .

راهويه : فكيف تنتظر منه أن يكاتبَه ؟

الموبذان : بلغني أن الهرمزان كتب اليه مرة أن يَقْدَ عليه بالمدينة ليُقيمَ بها معه فأبى .

راهويه : أجل فلم يكتبْ اليه مرة أخرى منذُ ذلك اليوم .

الموبذان : إذا عدت إلى سيِّدك بسطام فبلّغْه تحياتي ودَعواتي له .

راهويه : سأفعل يا سيدي الموبذان .

الموبذان : وأين الأمانَةُ التي بعَثَها لنا معك ؟

راهويه : الأمانة ؟

الموبذان : كيسُ الذهب .

راهويه : تقصِدُ النذرَ يا سيدي ؟

الموبذان : نعم نعم . النذر .

راهويه : ها هوذا يا سيدي الموبذان (يناوله الكيس).

الموبذان : كم ؟ ألف دينار ؟

راهويه : نعم ولو استطاع لأرسلَ لك أكثرَ .

الموبذان : مقبولةٌ منه على كل حال .

(تسمع جلبة في الخارج ويدخل جماعة من العرب مدَّجِجُون بالسلاح يتقدّمُهم

الموبذان : وأين يُقيمُ الآن مولاك ؟

راهويه : أعْفِني يا سيدي الموبذان .

الموبذان : لا تخَفْ فاني على السرِّ أمين . إني أنا الموبذان الأكبر يا راهويه حارس بيت أناهيذ .

راهويه : صدقتَ . أنت حافِظُ اسرارِ النار المقدَّسة . إن مولاي يقيمُ الآن في خُراسان مُتنَكِّراً لا يعرفهُ أحد .

الموبذان : وأبوه الهرمزانُ ما زال يكاتِبهُ ؟

راهويه : أبوه الهرمزان قد أسْلَمَ يا سيدي .

الموبذان : أعرف أنه أسلَمَ وأنه مُقيمٌ حتى اليوم في المدينة عند عمر .

راهويه : فكيف تنتظر منه أن يكاتبَه ؟

الموبذان : بلغني أن الهرمزان كتب اليه مرة أن يَقْدم عليه بالمدينة ليُقيمَ بها معه فأبى .

راهويه : أجل فلم يكتبْ اليه مرة أخرى منذُ ذلك اليوم .

الموبذان : إذا عدت إلى سيِّدك بسطام فبلّغْه تحياتي ودَعواتي له .

راهويه : سأفعل يا سيدي الموبذان .

الموبذان : وأين الأمانَةُ التي بعَثَها لنا معك ؟

راهويه : الأمانة ؟

الموبذان : كيسُ الذهب .

راهويه : تقصِدُ النذرَ يا سيدي ؟

الموبذان : نعم نعم . النذر .

راهويه : ها هوذا يا سيدي الموبذان (يناوله الكيس).

الموبذان : كم ؟ ألف دينار ؟

راهويه : نعم ولو استطاع لأرسلَ لك أكثرَ .

الموبذان : مقبولةٌ منه على كل حال .

(تسمع جلبة في الخارج ويدخل جماعة من العرب مدَّجِجُون بالسلاح يتقدّمُهم

المُعنَّى بن حارثة وبشير بن الخصاصية
وقباذ بن عبدالله أمير اصطخر فيُرَاعُ
الموبذان) .

قباذ : أنت الموبذان ؟

الموبذان : نعم يا سيدي .

قباذ : ومن هذا الذي مَعَك ؟

الموبذان : هذا زَائرٌ للبيت من المؤمنين .

قباذ : ما اسمهُ ؟

الموبذان : نحن لا نسألُ الزوارَ عن أسمائهم .

راهويه : اسمي أبانوه يا سيدي .

الموبذان : هل من خدمةٍ أستطيعُ تقديمها اليكم ؟

قباذ : بلغنا أنكم تخفون في بيت ناركم هذا امرأةً مسلمةً .

الموبذان : ليس عندنا يا سيدي غير كاهنات بيت النّار .

المعنى : اسمُهَا شيرين .

الموبذان : هذا اسمٌ فارسيّ .

قباذ : وأنا أيضاً فارسيّ الإسم . أنا قباذ بن عبدالله أمير اصطخر .

الموبذان : تشرفْنا يا سيدي الأمير . ليس في كاهناتِنا مَن اسمُها شيرين .

قباذ : تذكر أيها الموبذان أن الذمّةَ والعهدَ .

الموبذان : أجل نحن في ذِمّة الإسلام وذِمّة أمير المؤمنين .

قباذ : ما جزاؤُكم إن وجدناها عندكم ؟

الموبذان : إفعلوا بنا ما شئتم .

قباذ : فتّشُوا المكان أيها الرجال .

(يتفرق الرجال يميناً وشمالاً ويخرجون ما خلا قباذ)

الموبذان : لولا رغبتي في رضائكم لاعترضتُ على تفتيشكم لهذا البيت المقدّس .

قباذ : ونحن ما كنا لنفتشه لو لم يبلغنا ذلك الخبرُ .

الموبذان : لعلها وِشايةٌ كاذبة من أحد حُسّادي من الموابذة .

قباذ : وعلام يحسدُونك ؟

الموبذان : على مَنصِبي هذا في بيت أناهيذ أعرقُ وأقدسُ بيوت النار جميعاً في فارس ثم على ما أتمتّعُ به من ثِقةِ المسلمين .

(يعود الرجال)

قباذ : ماذا وراءكم ؟

الرجال : فتّشْنا كل رُكنٍ في المعبد فلم نجـــدْ لها أيَّ أثرٍ .

الموبذان : ألم أقل لكم ؟

راهويه : أنا أدُلُّكم عليها ايها الرجال . إنها محبوسَةٌ في قَبْوٍ أسفلَ هذا البهْوِ الذي نحن فيه (يُزيح السجادَ ويفتحُ البابَ السري وينزل فيه) هلم يا مُعَنّى بن حارثة انزِلْ معي إلى زوجتك (ينزل المعنى خلف راهويه)

قباذ : اقْبِضُوا على هذا الموبذان الغادِرِ .

(يقبض الرجال عليه ويشدونه وثاقاً)

الموبذان : أيها الأمير هذا الرجلُ هو الذي جاءنا بها منذُ أربعِ سنين قبلَ أن نصيرَ نحن في ذِمّة المسلمين.

قباذ : أَفلاَ بلّغتَنا عنها بعد ما صِرْتُم في ذمتنا؟

(يصعد راهويه وخلفه شيرين وقد تغيرت هيئتُها ثم المعنى)

شيرين : كيف حالُ أميرُ المؤمنين يا قوم ؟ كيف حال أمير المؤمنين؟

بشير : أميرُ المؤمنين بخير يا شيرين.

شيرين : أميرُ المؤمنين عمرُ ؟

بشير : أجل هو بخير .

شيرين : الحمدُ لله إذ ردّ عنه كيدَ الكايدِين .

المعنى : ألم أقلْ لك يا شيرين ؟ (يأخذها بيدها وينتحي بها جانباً)

راهويه : أين كيسُ الذهب ؟ أعطِني كيسَ الذهب (يأخذ الكيس).

الموبذان : خدَعْتَني وبِعْتني بهذا الكيسِ . عليك لعنةُ الآلهة أناهيذ أيها العبدُ المجُوسي الخائنُ .

راهويه : كذبْتَ لست بعبدٍ ولا بمجوسيٍّ ولا خائنٍ . أنا اليوم مُسلمٌ حرٌّ وهذا الكيس ليس لي وإنما هو للأمير قُباذ وهاأنذا أرده اليه (يناول الكيس لقباذ) .

قباذ : أشيروا علي يا قومُ في هذا الموبذان الذي اتَّخَذَ من حماية المسلمين لمعْبَدِه هذا وسيلةً لحبْس المسلمات وتَعْذِيبِهنّ فيه .

المعنى : اني أرى أن يُهْدَم هذا المعبدُ على رأسه ويُسَوَّى بالتراب .

شيرين : هذه أقلُّ عقُوبة يستحقَّها .

بشير : كلا أيها الأميرُ . ان المعبدَ لأهلِ هذا

البلد من المجُوس ولهم ذِمةٌ فلا يجوزُ هدمَه ولكن ينحَّى هذا الموبذان ويوضعُ مكانه غيرُه ممن يرضاه المجوسُ .

قباذ : أهذا حكمُ الله يا صاحبَ رسول الله ؟

بشير : نعم .

المشهد الخامس

في بيت جفينة ليلاً وعنده أبو لؤلؤة وكعب الأحبار وقد جلسوا حـــول سراج ضئيل لا يكاد يصدع ظلمة المكان .

كعب : خبِّرني يا أبا لؤلؤة هل بَقيَ من أرض فارسَ شيءٌ بعد فتْح خُراسان ؟ .

أبو لؤلؤة : لا يا كعبُ .

كعب : الحمد لله .

أبو لؤلؤة : (منكراً) الحمد لله ؟

كعب : اذْ لم يبقَ للمسلمين من أرض يفتحُونها بعد.

جفينة : الا أن يعْبُرُوا النهرَ إلى أرض التُّرك وأرضَ الصين .

كعب : انها إذن لكارِثَةٌ .

جفينة : إذا استولى المسلمون على أرض الترك وأرض الصين ؟

كعب : نعم .

أبو لؤلؤة : (محتداً) أيها اليهودي أوَليس استلاؤُهم على بلاد فارس كلَّها كارثَةً عندك ؟

كعب : بلى بلى يا أبا لؤلؤة ولكن ذلك أمرٌ قد تمّ ووقَعَ .

أبو لؤلؤة : (يتنهد بحرقة) آه. قاتَلَ اللهُ الهرمزان. لولا جُبْنه في الحج يوم نَهاوند لما تمَّ هذا الأمرُ وما وقعَ .

كعب : دعنا يا بُني مما مضى فما مضى فات .

جفينة : صدقت يا كعب . هل حضرتَ أمس إذ جاء بشيرُ الفتح من عند الأحْنفِ بن قيس ؟

كعب : نعم .

جفينة : وسمعتَ خُطبةَ عمرَ ؟

كعب : وحفِظتُها عن ظهر قلبٍ .

جفينة : انا سمعتُها مثلك ولكني لم أحفظها . أسمِعْنا ماذا قال عن مُلك المجوسية ؟

كعب : ألا ان اللهَ قد أهلك مُلْك المجُوسيةَ وفرّق شملَهم فليسُوا يملكون من بلادهم شبراً يضر بمسلم .

أبو لؤلؤة : واكبداه ! لقد أكَلَ عمرُ كبدي !

جفينة : أكمِلْ يا كعب .

كعب : ألا وإن اللهَ قد أورثكم أرَضهم وديارَهم وأموالَهم وأبناءهم .

أبو لؤلؤة : (صائحاً) حسْبُك يا كعب كَفَى !

كعب : (ماضياً) لينظرَ كيف تعلمُون .

أبو لؤلؤة : (يضع يده على فم كعب) قلتُ لك كفى !

جفينة : دعنا من خُطبَتِه الآن. أتذكر يا كعبُ ماذا قال عن الأحْنَفِ بن قيس ؟

كعب : أثنَى عليه ثَنَاءً جمّاً وسماه سيدَ أهلِ المشْرِق .

جفينة : ألا تَرَى أنه غَالَى في الثّناء عليه ؟

كعب : كلا يا جفينة . أليس الأحْنفُ هو الذي قهرَ خاقان مَلِكَ الترك وردّه خائباً إلى بلده فقَضَى بذلك على أمَلِ يزدجرد في نجْدَتِه إلى الأبد ؟

(يسمع قرع خفيف على الباب)

جفينه : (ينهض) لعلّه الهرمزان (يخرج ثم يعود ومعه الهرمزان) .

أبو لؤلؤة : (في جفاء وغلظة) ماذا أخّرك ؟ كلُّنا حضرَ في الموعدِ سِوَاك .

الهرمزان : حِلْمُك يا فيروز .

أبو لؤلؤة : لا تَعْتَذِرْ بصلاة العِشَاء فقد صلاّها كعب أيضاً معكم .

جفينة : وأنا أيضاً صليْتُها معهم .

الهرمزان : اسمَعُوا قولي أولاً ثم لُومُوني أو أعذُرُوني.

أبو لؤلؤة : تكلَّم .

الهرمزان : كان ابني القماذبان يُصلِّي معنا في المسجدِ فلما انسَلَلْتُ خارجاً لمَحَني وتبعَني فاضْطُررْت أن أُماشِيَه حتى أوصلتُه إلى البيت فلما وضَعَ ثِيابَه انتحَلْتُ له ولأمّه عذْراً فخرجْتُ .

كعب : لا أكتُمُ اني أشعُر برَهبةٍ خفيَّةٍ .

الهرمزان : مِمّ يا كعب ؟

كعب : من اجتماعِنا بالليل فانه مَريب .

أبو لؤلؤة : لقد جئنا فُرادَى بعد صلاة العشاء ولم يرَنا أحدٌ .

كعب : هذه الذُّبالةُ يجب اطفاؤُها .

أبو لؤلؤة : وتقعدُ في الظُّلمة ؟

كعب : خيراً من أن يطرُقَنا عمرُ فيجدَنا هكذا مجتمعِين .

أبو لؤلؤة : عمر ؟

كعب : ألا تعلم انه يَعُس بالليل فاذا رأى سِراجاً موقداً قرعَ البابَ على صاحبه ؟

أبو لؤلؤة : وما يدعُوه إلى ذلك ؟

كعب : انه نَهى عن السُّرُج في الليل خشْيَةَ الحريقِ

جفينة : لشَدَّ ما يُتْعب هذا الرجلَ نفسَه .

الهرمزان : في سبيل رعيته .

أبو لؤلؤة : والنارِ المقدّسةِ لأرِيحنّه وشيكاً من هذا التعب !

كعب : اطفئ السراج يا جفينة !

أبو لؤلؤة : كلا . لا يُطفِئُه غيري !

(يطفىء أبو لؤلؤة السراجَ فيسود الظلام هُنَيْهة وإذا شعاعٌ من القمر يسقط من كوَّة في الحجرة فيُضِيئها فيُراعُ أبو لؤلؤة).

كعب : لا تُرَعْ يا أبا لؤلؤة . هذا نُور القمر !

المشهد السادس

في بيت عمر بالمدينة عند أم كلثوم ترى أم كلثوم جالسة تبكي .

عمر : (يسمع صوته من الخارج) انتظروا حتى أستأذِنَ لكم على أم كلثوم .

أم كلثوم : (تنهض) جاء بضُيُوفٍ معه (تهم بالانسحاب إلى داخل البيت)

عمر : (صوته) أم كلثوم . أم كلثوم . (يدخل) ويحك مـــا لك لا تُجيبين) ؟ وَيْ ! ما لِعَيْنَيْكِ حمراوَيْن ؟ أكنتِ تَبكين ؟

أم كلثوم : نعم .

عمر : بأبي أنتِ وأمي ما يُبكِيكِ ؟

أم كلثوم : هذا اليهوديُّ كعبُ بن ماتع يقول أنك على بابٍ من أبواب جَهَنَّم .

عمر : وصدّقْتيه ؟

أم كلثوم : قال إنه وجد ذلك في كتاب اللهِ التوراة .

عمر : ما شاء اللهُ إني لأرجو أن يكونَ ربي خلقَنِي سعيداً .

أم كلثوم : لا. اسكُتْ يا أميرَ المؤمنين حتى ترسلَ اليه وتكلّمَه .

عمر : (ينادي) يا أسلم . يا أسلم .

أسلم : (يدخل) نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : إذهب إلى كعْب بن مَـاتع فقل له أجِبْ أميرَ المؤمنين الساعةَ .

أسلم : سمعاً يا أمير المؤمنين (يخرج) .

أم كلثوم : أتأذن لضُيُوفِك .

عمر : إنهم خصُومٌ وليسُوا بضيوف (بصوت عال) ادْخُلوا يا قوم(تنسحب أم كلثوم ويدخل

المغيرةُ بن شُعْبة وغلامه فيروزُ وعبدالله بن الأرقم) أجلس هنـــاك يا مغيرة بن شعبة وأنت أجلس هناك بجواره يا فيروز .

ابن الأرقم : وأنا يا أمير المؤمنين أين أجلِسُ ؟

عمر : أنت يا خالَ رسولِ الله تقْضِي معي فهلم أجلس إلى جواري (يلتفت إلى الخَصْمَيْن) ماذا فعلت يا مغيرةُ بن شعبة ؟ لقد ظننت أنكما تراضيتما أنت ومولاك .

المغيرة : كيف يا أمير المؤمنين ؟ انه لم يدع لي سبيلا إلى ذلك .

عمر : الا تَرَى ان مائةَ درهم في الشهر كثيرٌ ؟

المغيرة : على مِثلهِ يا أميرَ المؤمنين ؟ نقَّاشٌ نجارٌ حدادٌ صانعُ ارْحيَةٍ ؟ والله لو كان عند غيري لضربَ عليه الفَ درهم .

عمر : لو لم يكن ثَقيلا عليه لما شكاكَ إلي .

المغيرة : يا أمير المؤمنين لقد ظلّ يدْفعُ لي هـــذا

القدرَ منذُ سنين فما عدا مما بدا ؟

عمر : بلغني انك زوّجْته جاريةً لك .

المغيرة : نعم وأصْدَقْتها عنه من عندي .

عمر : فلعله احتاج لنفقةِ أهلِهِ آخر الأمر .

المغيرة : كلا يا أمير المؤمنين انك لا تدري كم يكسب من صَنائعِهِ هذه في اليوم .

عمر : كم ؟

المغيرة : خمسين درهماً أو أكثرَ .

عمر : في اليوم تقولُ أم في الشهر ؟

المغيرة : بل في اليوم .

عمر : أحقاً يا فيروز ؟

أبو لؤلؤة : لا يا أمير المؤمنين إذن لما اشتكَيْت من مائة درهم في الشهر .

المغيرة : لا تصدقه يا أمير المؤمنين . انه يكذب .

أبو لؤلؤة : بل الكاذبُ هو يا أمير المؤمنين .

المغيرة : والله يا أمير المؤمنين إن ما قلتُه لحق .

أبو لؤلؤة : ووالله يا أمير المؤمنين انه لكاذب .

عمر : لو صحَّ ما تزعمُ يا مغيرة فاين يُنفِقُ ما يكسِبَ ؟

المغيرة : لا أدري يا أمير المؤمنين . لعله يُودِعُه عند صاحبٍ له .

عمر : كاتِبه إذن يامغيرة فهو خيرٌ لك وله .

المغيرة : كلا يا أمير المؤمنين . انه لم يعرف صَنيعي فأكاتِبَه .

عمر : ليس لك ذلك . ان اللهَ تباركَ وتعالى يقول « والذين يَبْتَغُون الكتابَ مما ملكتْ ايمانُكم فكَاتِبُوهم ان علِمْتُم فيهم خيراً » .

المغيرة : ان علمتم فيهم خيراً ولا خيرَ في هذا يا أمير المؤمنين .

عمر : ويلك ألم تقل آنفاً انه يكسب خمسين درهماً في اليوم ؟

المغيرة : بلى .

عمر : فأيُّ خير تريد بعد ؟

المغيرة : يا أمير المؤمنين اني ان كاتبْتُه فلن يلبثَ ان يدفع ما عليه فيبرَحَ المدينة ويعودَ إلى فارس .

عمر : هو حر يومئذ يتوجّه أين يشاء .

المغيرة : لكنَّ الناسَ هنا يحتاجون إلى صنائِعِه وما جئتُ به إلى المدينة الا لذلك .

عمر : دعني من هنيهاتك يا مغيرة . إذا صارَ حُرّاً فلا سلطانَ لأحدٍ عليه .

المغيرة : والله يا أمير المؤمنين لتُفسدنَّ على الناس مواليهم .

عمر : قاتَلك اللهُ ذاك كتابُ الله يدعُو إلى تحريرِ الرقابِ ويحُضُّ عليه . ألا تُؤمن بكتاب الله يا ابن شعبة ؟

المغيرة : يا أمير المؤمنين إفعل ما بَدَا لك .

عمر : قد رَضي مولاك يا فيروز أن يُكاتِبَك .

أبو لؤلؤة : كلا يا أمير المؤمنين لقد أكرهتهُ أنت على ذلك .

عمر : ليس ذلك من شأنك .

أبو لؤلؤة : كلا لا أرَبَ لي في المكاتبة .

عمر : ويلك ألا تحبّ أن تكونَ حُرّاً وتنطلِقَ إلى حيثُ تشاء ولا يسألكَ أحدٌ كم تكسب؟

أبو لؤلؤة : اني أريد أن تُنْصِفَني من مولاي لا أن تَعْتِقَني منه .

عمر : انك تُحْسن الكسْب فالعِتْقُ خيرٌ لمثلِك .

أبولؤلؤة : ليس احدٌ أعرفُ مني بما يُصلِحُني .

عمر : لقد كان عندي مولىً يُدعى أبا أُميّـه فكاتبتُه فأصبحَ اليوم تاجراً غنياً في الكُوفه.

أبو لؤلؤة : قد سمعتُ عنه ولا أريد أن أكونَ مثلَه .

عمر : إن أمرَك إذن لعجيبٌ .

أبو لؤلؤة : أتعجب مني يا أمير المؤمنين إذ التَمَسْتُ ذلكَ ؟ لقد وَسِع عدلُك الناس جميعاً غيري.

عمر : ويلك أيَّ عدْلٍ تريد بعد ؟

أبو لؤلؤة : جئتك لتنصفَني في أمر فإذا أنت تُلْهِيني عنه بأمر آخر !

عمر : إني إذن سأتحَرّى عنك كم تكسب في اليوم فأحكمَ حينئذ لك أو عليك .

المغيرة : أجل إفعل يا أمير المؤمنين فستجدُ أن مائةَ درهم في الشهر قليلٌ عليه .

أبو لؤلؤة : قد علمتُ يا أمير المؤمنين ان الضعيفَ لا يجد إنصافاً عند أحدٍ !

عمر : ويحك يا غلامُ لا ينبغي أن يظلم القويُّ لقوته كما لا ينبغي أن يظلم الضعيفُ لضعفه ولكن يؤخذُ الحقُّ من هذا ومن هذا .

المغيرة : قاتلك الله من غُلام سَوْء . أين تجدُ مثل هذا الإنْصافِ يا ابنَ المجوسية ؟

عمر : دعه يا ابن شعبة . لا سَبيلَ لكَ عليه حتى يتبيّن لي أيُّكما صاحب الحق .

المغيرة : هلم بنا ننصرف (يتوجه هو وأبو لؤلؤة نحو الباب ليخرجا).

عمر : على رِسلِكَ يا أبا لؤلؤة. بلغني انك تقول لو أشاء لصنَعْتُ رحىً تطحَنُ بالرِّيحِ.

أبو لؤلؤة : نعم ولكني لا أصنعُها لأحدٍ.

عمر : ما يمنعُك ؟

أبو لؤلؤة : لِمنْ أصنعُها ؟

عمر : اصنعها للمسلمين.

أبو لؤلؤة : كلاّ لن أصنعَها للمسلمين أبداً.

عمر : ويلك يا عدوَّ الله ما يمنعك ؟

أبو لؤلؤة : لا تُطيبُ لهم بها نفسي ولكن إن شئتَ أنت صَنَعْتُها لك وحدك.

عمر : فاصنَعْها لي فهي للمسلمين وسأجزِلُ لك أجرك.

أبو لؤلؤة : كلا لا أريد منك عليها أجراً. لأصنَعَنَّ لك رَحىً يتحدَّثُ بهـا أهل المشرقِ

والمغربِ (يخرج).

عمر : ماذا ترى فيما سمعت يا ابن الارقم ؟

ابن الأرقم : ما رأيتُ اليـوم عبد سَوْء قط يا أمير المؤمنين.

عمر : ما أظنه الا أوعدَني آنفاً.

ابن الأرقم : أجل يا أمير المؤمنين فلولا اتخذت حَرَساً ليحموك من الأذى والاغْتِيال.

عمر : ويحك يا ابن الأرقم ما يكون لي أن أحْمِيَ نفسي بالحَرَس فأكونَ مثلاً لمن بعدي يجعَلونه مُلكا عضُوضاً ولئن أصابني شيءٌ لتكونن الشهادةُ التي أبْتَغِيهَا من ربي.

(يدخل يرفأ)

يرفأ : هذا الهرمزان يا أميرَ المؤمنين قد جئتك به.

عمر : مرحباً يا هرمزان. أدخل يا هرمزان.

(يدخل الهرمزان وابنه القماذبان)

الهرمزان : السلام عليك يا أمير المؤمنين.

عمر : وعليك السلام ورحمة الله (يعانقه بشوق) أهذا ابنك ؟

عمر : أجل يا أمير المؤمنين هـذا القُماذَبان ابني أبى اليوم إلا أن يصحَبَني اليك .

عمر : (يضرب على كتفـــه) مرحباً بك يا بُني . لقد بلغني أنكَ فتىً صالح .

القماذبان : أدع الله لي يا أمير المؤمنـــين أن يجعلَني كذلك .

عمر : أَما انه ليُحسِنُ العربيـــةَ خيراً منك يا هرمزان .

القماذبان : لو جاءكم أبي صغيراً يا أمير المؤمنين لنطَقَ بلسانكم خيراً مني .

عمر : ما أحسَنَ ما قلت يا بني . إنك لذو عقـل وأدبٍ .

الهرمزان : أأرْسَلْت في طلبي يا أمير المؤمنين ؟

عمر : بل أرسلتُ أسألُ عنك يا أبا القماذبان فإن

كنتَ مريضاً رحتُ أعودُك .

الهرمزان : لا حرمني الله برك وعطفَك يا أمير المؤمنين ما كنت مريضاً ولكني حَبَسْت نفسي في البيت أتحفّظُ القرآنَ مع ابني القماذبان .

القماذبان : أجل يا أمير المؤمنين أنا أقرأُ وهو يستمع لي على المُصْحف وهو يقرأ وأنا أستمع له .

عمر : نعم العملُ هذا الذي تعملان على ألاتفُوتَكما صلاة الجماعه في مسجد رسول الله ﷺ .

الهرمزان : لو خرجتُ الى المسجـد يا أمير المؤمنين لشَغَلَتْني أمورٌ كثيرة ليس منها بدٌ .

عمر : منها حضورُك عندي ؟

الهرمزان : نعم .

عمر : أتدري يا هرمزان مـــاذا جَالَ بظني إذ انقطعْتَ عني ؟

الهرمزان : ماذا يا أمير المؤمنين ؟

عمر : لعلك سمعت خُطبَتي في الجمعـــة الماضية

فأشفقْتَ أن تكون الديكَ الأحمرَ الذي نَقَرَني نقرتين في منامي .

الهرمزان : يا ليتني كنت الديك الأحمر يا أمير المؤمنين؟

عمر : ماذا تقول ؟

الهرمزان : إذن لتركتُك وما نَقَرْتُك !

عمر : هيهات يا هرمزان لقد نقرني وما تركني وما أراه إلا لحضُورِ أَجلي .

الهرمزان : (يرتجف قليلاً) بل يُطِيلُ اللهُ بقاءَكَ يا أمير المؤمنين .

عمر : بل أدع الله لي خيراً من هذا أن يَقْبِضَني الله اليه غيرَ مَلُوم ولا مَضيَّع .

الهرمزان : (بصوت يخالطه البكاء) كلا يا أمير المؤمنين بل أدعو الله لك بطُول البقاء إن كان يُسْتجابُ لي دعاء .

ابن الأرقم : يا أمير المؤمنين إني سمعت أنسَ بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يتمنينَّ

أحدُكم الموت لضرٍّ أصابه فإن كان لا بد فاعلاً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي.

عمر : السمع والطاعة لرسول الله . اللهم أَحْيِنِي ما كانت الحياةُ خيراً لي وتوفّني إذا كانت الوفاةُ خيراً لي .

الهرمزان : ولكن مالي يا أمير المؤمنين وما للديكِ الأحمرِ الذي رأيتَه في منامك ؟

عمر : لقد قصَصْتُ منامي على أسماءَ بنْت عُمَيْس فقالت : يقتلني رجلٌ من العجم .

القماذبان : مَعَاذَ الله يا أمير المؤمنين .

الهرمزان : نفسي فداؤك يا أمير المؤمنين .

القماذبان : إن العجَمَ جميعاً فداؤك .

(يعود أسلم)

أسلم : هذا كعبُ بن ماتع يا أمير المؤمنين قد جئتُك به .

الهرمزان : (ينهض) أتأذن لنا إذن يا أمير المؤمنين .

عمر : إني ما قضيت الشوْقَ منك بعد .

الهرمزان : يوماً آخر يا أمير المؤمنين إن شاء الله .

عمر : مُصاحَباً يا هرمزان (يخرج الهرمزان وابنه) .

عمر : دعه يدخل يا أسلم (ينادي) يا أم كلثوم !

أم كلثوم : (صوتها) لبيك يا أمير المؤمنين .

عمر : هلمي . هذا صاحبُك . صاحب باب جهنم قد جاء .

(يدخل كعب الأحبار)

كعب : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام. هلم يا ابن اليهودِيّة ماحملك على ترْوِيعِ أم كلثوم بنت علي ؟ ماذا قلت لها في غيابي ؟

كعب : لا تعْجَلْ عليّ يا أمير المؤمنين إني ما أردْتُ إلا خيراً .

أم كلثوم : (على الباب) خيراً يا ابن اليهودية ؟ أمير المؤمنين على باب من أبواب جهنم !

عمر : ألا تنتهي من أساطيرِكَ وأكاذيبِكَ ؟

كعب : رويدك يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ والذي أنزل التوراةَ على موسى إنا لنجدُك في التوراة على باب من أبواب جهنم تمنعُ الناسَ أن يقَعُوا فيها فاذا متّ لم يَزَالُوا يقتحِمُون فيها إلى يوم القيامة .

أم كلثوم : ما هكذا قلْتَ لي أمس .

كعب : بلى يا بنت رسول الله . ولكن لعلك ما وَعَيْتِ .

أم كلثوم : بل جئتني متفجِّعاً أمس تلطُم خدَّك وتلْدِم صدرَك وتقول لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله . أمير المؤمنين على باب من أبواب جهنم . واعُمراه .

كعب : يا بنتَ رسول الله إني أحبُّ أمير المؤمنين فكيف أعلم أنه يُوشِكُ أن يلقَى منيّتَه فلا أحزَن عليه ؟

أم كلثوم : الآن تذكرُ مَنِيته ؟

كعب : أميرُ المؤمنين نفسه قد ذكرها في خُطْبته الجمعة الماضية .

عمر : وجئت أنت لتكذِبَ على الله وتزعُمَ أنها في التوراة ؟

كعب : لا والله يا أمير المؤمنين ولكني دارَسْتُ التوراةَ عقب خُطبتك فوجدْتُ ماوجدت.

عمر : ماذا وجدت ؟

كعب : وجدت ما غمّني وسرني يا أمير المؤمنين في وقت واحد .

عمر : أفْصِحْ ويلك .

كعب : إنك لا تلبث إلا قليلاً حتى تدخلَ الجنة .

عمر : قاتلك الله أي شيء هذا ؟ مرة في النار ومرة في الجنة ؟

كعب : أيّ بِدْعٍ في ذلك يا أمير المؤمنين ؟ النارُ تقِفُ على بابها تذودُ الناسَ عنها في حياتك والجنةَ تدخلُها بعد وفاتِك .

عمر : وتجد كلَّ ذلك في التوراة ؟

كعب : اي والذي نفسي بيده .

عمر : ها الله إنك لتجدُ عمرَ بن الخطاب في التوراة ؟

كعب : اللهم لا ولكني أجدُ صفتَك وحِليتك وإنه قد فَنِيَ أجلُك .

عمر : ما بَقِي عليك يا ابن اليهودية إلا أن تذكرَ لي في أيِّ يوم أموت .

كعب : لو شئت يا أمير المؤمنين لذكرته لك لتعلَمَ أني لا أقول إلا حقاً .

عمر : هاتِ اذكرْه ويلك .

كعب : والذي نفسي بيده لا ينسَلِخُ ذو الحجة حتى يأتي أجلُك .

ابن الأرقم : هذا الشهر الذي نحن فيه ؟

كعب : نعم .

عمر : ما بقي منه يا كعب غيرُ بِضْعَة أيام .

كعب : أجل اعهد يا أمير المؤمنين فإنك ميِّتٌ في ثلاثة أيام .

عمر : في ثلاثة أيام ؟

كعب : الحق من ربك فلا تكن من المُمْترين .

عمر : ها لعلك يا عدو الله قد أطلعْتَ على شيء مما يدبِّرهُ هؤلاء الأعاجمُ لي من كيْد فأبى لك شيطانُك اللعين إلا أن تجعلَه سرّاً من أسرار التوراة التي تكذِبُ بها على الناس .

كعب : لا والله يا أمير المؤمنين وملائكته وكتبه ورسله .

عمر : ما أيسرَ عليك أن تحلفَ يا عدو الله .

لا ريْبَ عندي أنك تعلم شيئاً مما يدبرون.

كعب : معاذ الله يا أمير المؤمنين لو اطلعْتُ على شيء من ذلك لبلّغْتُك إياه لتأخذَ حذْرك ولو وجدتُ في التوراة أن ستلقى منيتَكَ قتلاً أو اغتيالاً لأنبأتك به ولو كان الأمرُ أمرَ توقُّع يا أمير المؤمنين لتوقعت أن يقتلَك العربُ لا العجمَ !

عمر : ويلك لتخرجنّ من هذا أو لأعاقبنّك .

كعب : يا أمير المؤمنين أولا تعلم أن الناسَ قد سَئِمُوا حكمَك واستطالُوا عهدَك وكرهوا عدلَك وصرامَتَك ؟ أولا تذكر يا أمير المؤمنين يوم أرسلوا حَفْصَةَ أم المؤمنين اليك لِتُلَيِّن شيئاً من معيشتك فقد كثُر المالُ وكثر الخير . وهم إنما نظروا لأنفسِهم في ذلك لترتَعَ أنت فيرتَعُوا مثلك ؟

عمر : يا عدو الله اكفُفْ لسانَك عن أصحاب رسول الله هؤلاء .

كعب : يا أمير المؤمنين إني لك ناصحٌ أمين. إن كنت تتوقع سُوءاً من أحد فمن هؤلاء ولا سيما بعد ما سمعوا أنك تنْوي في العام القابِل أن تسوِّيَ بين الناس في العطاء وتجعلَهم رجلاً واحداً .

عمر : ويلك ممن سمعت ذلك ؟

كعب : سمعتُه من كثير قد انتشر ذلك في الناس يا أمير المؤمنين .

عمر : ما أخبثك وأخبثَ شيطانَك إنما تريد أن تصرِفَني عن العُلوج لأتَّهِم المسلمين .

كعب : يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ . إني لا أريد أن تأمَنَ هؤلاء العلُوجَ من الأعاجم ولكني أرى أنّهم أجبنُ من ذلك فإن قام أحدُهم بقتلك فلا بد أن يكونَ مدفوعاً إلى ذلك من أحد كُبَراء العرب الذين ينْفِسُون الخلافةَ عليك ويرون أنفسَهم أحقَّ بها منك .

عمر : والله ما أراك يا كعب إلا منافقاً وما أراك تريد إلا أن تُثيرَ الفتنة في المسلمين . ولولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن قتل المنافقين لقتلتُك ؟

كعب : يا أمير المؤمنين أهذا جزاءُ الناصح الأمين؟

عمر : إني قد بلَوْتُ المنافقين يا كعب وإني لأعرفُ وجوهَهم فلا تخدَعْني عن نفسك .

كعب : يا أمير المؤمنين يعلم اللهُ أني لمسلم صادق الإيمان وبحسبي أني أسلمت عن بينة .

عمر : تعني ذلك الكتابَ الذي خبّأه أبوك في صندُوق فلما مات فتَحْتَه ؟

كعب : نعم .

عمر : فأين هو يا كعب؟ أهو معك؟

كعب : لا يا أمير المؤمنين . تركته باليمن .

عمر : ولم تركته ؟ هلا أطْلَعْتَ الناسَ عليه ليزدَادُوا إيماناً ؟

كعب : كأنك يا أمير المؤمنين تشك في ذلك الكتاب؟

عمر : قد علمت أنكَ اخترَعْتَه كما اخترعت سائرَ أساطيرِك وأكاذيبِك .

كعب : يا أمير المؤمنين لا حقّ لك أن تَتَّهِمَني في ديني بغير بيّنة ولا بُرهان .

عمر : يا ابن اليهودية اني قد نَهَيْت الناس أن يكثرُوا من الرواية عن نبيهم محمد ﷺ خَشيَةَ أن يتزيّدوا عليه أفآذنُ لك أن ترْوي للناس من أساطيرك وأكاذيبك؟ أخرُج من عندي .

كعب : يا أمير المؤمنـــين لتندَمَنّ على طردي من عندك .

عمر : أخرج .

كعب : سامحك الله يا أمير المؤمنين . لتعلمَنّ غداً انني من المؤمنين المخلصين .

(يخرج)

موقع الأديب
★ علي احمد باكثير ★
www.bakatheer.com

المشهد السابع

في بيت عمر

حجرةٌ متوسطة بين داخل البيت وبين البهْو الذي يستقبل فيه الناسَ . باب في أقصى يسار المسرح يؤدي إلى الداخل وباب في أدنى يمين المسرح يؤدي إلى البهو .

الوقت : غلس الصبح

يرى عمر راقداً على وسادة من ادم وهو مَغشِيٌّ عليه وعليه ثوبٌ ينضَحُ بالدم من جراحه وعنده عبد الله بن عمر وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن عباس والمسور بن مخرمة .

ابن عوف : (كأنه ينبهه) يا أمير المؤمنين ! يا أمير المؤمنين !